

فقدناك يا فضل

أجل، في كل هذه المجالات وغيرها تميز السيد محمد حسين فضل الله "رحمه الله"، فلقد كان بحق مرجعاً دينياً متميزاً، وخطيباً متميزاً، ومفكراً متميزاً، وكاتباً متميزاً، ومجاهداً متميزاً... إلى غير ذلك من النعوت التي نستطيع أن نطلقها عليه دون أن نوفيه حقه.

ولم يكن السيد "رحمة الله" متميزاً في هذه الميادين فحسب، بل تميز وأبدع كذلك في كيفية توظيفها وجعلها -بأجمعها- في خدمة الرسالة الإسلامية. نعم، الرسالة التي حَرَمَ السيد على نفسه الراحة من أجلها، وفي سبيل نشرها وغرسها في نفوس الناس، ولهذا تنوعت الأساليب والأدوار التي أتبعها لذلك.

ولهذا فإننا في الذكرى الثانية لرحيله لا نزال نفتقده، وإن كان له حضور لا يحوه الغياب، ولكننا نفتقده رفيقاً ومرشداً، وموجهاً وملهماً يرافقنا ويلهمنا في معالجة قضايانا الجديدة والمتجددة، وإنني منذ رحيله لا زلت أفتش عن من يملئ الفراغ الذي خلفه، ولكنني في كل مرة أصاب بخيبة أمل، لأن السيد "رحمه الله" لم يترك فراغاً واحداً، بل خلف وراءه فراغات متعددة يصعب ملئها، وذلك في العديد من المجالات، في الدين والأخلاق، في الثقافة والفكر، في الجهاد والسياسة، في العمل الإجتماعي وغيرها من الأمور.

لذلك فإننا كلما تقدم بنا الزمن وطالت بنا المدة نستشعر فقده أكثر، فلقد فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً عاملاً ومرجعياً منفتحة تحملت مسؤوليتها ومارست أدوارها وتفاعلت مع قضايا وهموم مجتمعها، وكيف لا نفتقدك؟ ونحن نجد الكثير من العلماء والمرجعيات الدينية قد غابت عن مجتمعها -عجل الله فرجها- ولم تتحمل مسؤولياتها وانشغلت عن ذلك بأمر هامشية وسطحية.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً عاملاً وازن بين الأصالة والتجديد، فلم يؤدي به تمسكه بمبادئ وقيم الإسلام إلى الانغلاق والتجرب والتعصب، كما لم يجعله انفتاحه يبتعد عن الإسلام وقيمه ومبادئه، كما أدى ذلك ببعض العلماء والمفكرين الحداثيين الذين ضلوا الطريق وهم ينشدون التجديد.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً أفنى حياته من أجل قضية الوحدة الإسلامية، إذ لم يتخذ

الوحدة الإسلامية شعاراً ووسيلةً للوصول إلى أهداف أخرى، بل وضعها هدفاً ومارسها ممارسةً في كل حياته، وفي كل ما أعطى من فكر، وفي كل ما مارسه من سلوك، في الوقت الذي نجد الكثير من دعاة الوحدة الإسلامية يتخذون من هذه القضية شعارات جوفاء خاوية دون أي ممارسة فعلية.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك إرادةً صلبة لا تتزعزع ولا توقفها التحديات والصعوبات ومحاولات التصفية الجسدية والفكرية عن مواصلة العطاء الفكري ودعم الجهاد وتوعية الأمة.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك فقيه مجدد، وعالم كبير، ومثقف بصير، وشاعر واعي، وكاتب خبير، لديه الشجاعة والجرأة للجهر بآرائه ومواقفه التي يعتقد بها، في الوقت الذي نجد فيه بعض الفقهاء والعلماء والمثقفين والشعراء والكتاب جبناء لا يستطيعون المواجهة ويخشون الجهر بآرائهم، لأنهم يخشون الناس ويسعون لإرضائهم.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك إنساناً بكل ما للكلمة من معنى، إنساناً يملك العاطفة الواعية الصادقة، والوعي العاطفي الصادق، إنساناً أسىء إليه وترفع عن الإساءة أو الرد على من أساء إليه.

نعم، فقدناك يا فضل الله وفقدنا برحيلك من يستطيع أن يملأ كل هذه الفراغات الذي خلفتها، ولا ندري هل ستجود علينا الأيام بإنسان مثلك في القريب العاجل أم لا؟.